اللغــةُ الأوغــاريتية بين التـأثر والتـــأثير

م. م نهاد حسن حجي
كلية الآداب . جامعة واسط

المقدمة

يستمدُ التاريخ مادتهُ من كُل ما خلّفهُ الإنسان من آثار وهذهِ الآثار تتمثلُ بالمخلفات المادية كالأدوات الحجرية والأواني والأبنية والمنحوتات أو الوثائِق المدونة كسجلات الملوك والأمراء والمعابد وما تركهُ الإنسان من معاملاتٍ أو مراسلات دوّنت على الألواح الطينية أو أوراق البردي وكان هذا النوع من الآثار هو السبب الرئيسي في خلق الحضارة خلقاً لأنهُ هيأ كل الوسائل لتسجيل المعرفة ونقلها كما كان سبباً لازدهار العلم والأدب.

وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على اللغة الاوغاريتية التي حافظت آثارها المكتوبة لها على تاريخها التي تنتمي إلى المجموعة السامية وتأثُرها وتأثيرها في أهم اللغات التي عاصرتها.

اللغات السامية

تُصنف اللغات وفقاً لمعيارين هما: المعيار التاريخي والمعيار الجغرافي ، فالمعيار التاريخي يصنف اللغات حسب تدوينها من الأقدم إلى الأحدث أما المعيار الجغرافي فيصنف اللغات حسب موقعها ووفقاً لهذين المعيارين أنقسم الباحثون إلى قسمين بشأن اللغة الأقدم .(١)

وأياً كان المعيار في تحديد اللغة الأقدم فإن ما أتفق عليهِ الباحثون وخصوصاً المُستشرقون هو أن اللغات السامية هي الأصل في علم اللغات وهي لغات الأقوام التي عاشت في بلاد الرافدين والجزيرة العربية لذا يُطلِق عليها بعضهم تسمية اللغات الجزيرية وتنقسم هذهِ العائلة اللغوية إلى ثلاثة أقسام هي : (٢)

١- لغات القسم الشرقي وتضم البابلية والآشورية والكلدانية.

٢- لغات القسم الغربي وتضم الكنعانية والفينيقية والآرامية والعبرية والسريانية والتدمرية والنبطية.

٣- القسم الجنوبي وينقسم إلى :

أ- الفرع العربي ويضم العربية والقحطانية والحميرية والمعينية (السبئية) والعدنانية المُضرية (القرشية الفُصحى) .

ب- الفرع الحبشي ويضم الإثيوبية والجعزية والتيجرية.

وتتميز هذهِ اللغات بعدة مُميزات أهمها: (٣)

١- اعتمادها على الحروف فهي لاتلتفت إلى الأصوات بمقدار التفاتها إلى الحروف.

٢- أغلب كلماتها ذاتُ أصلٍ ثلاثي .

٣- التشابهُ في تكوين الاسم من حيثُ عدده ونوعه وفي تكوين الفعل من حيث زمنه وتجرده وزيادته وصحته وعلته.

٤- تشابه الضمائر في طريقة اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف .

٥- التشابه في المشتقات كاسمي الفاعل والمفعول وأسميي المكان والزمان واسم الآلة .

٦- تغير معنى الكلمة بتغير حركاتها.

٧التشابه الكبير في المفردات الدالة على أعضاء الجسم وصلة القرابة والعدد وأسماء الحيوان والنبات.

اللغة الأوغاريتية

من أقدم اللغات المكتوبة بالحروف الهجائية التي تُؤرخ بين (١٤٠٠-١٢٠٠ق.م) وهي اللغة المحلية لمدينة أوغاريت وقد اختلف علماء اللغات في تصنيفها فعدها البعض من لهجات القسم الجنوبي – الفرع العربي حيث يرونها بأنها تُمثل مرحلة الطفولة للغة العربية لما لها من خصائص تُشابه العربية من جهةِ أصواتها ونحوها وصرفها وسماتها الأعرابية رفعاً ونصباً وجراً ولمعاني ألفاظها القريبة من العربية . (٤)

أما غوردون- C.H Gordonفيقول في كتابه (٥) " أنها من لغات القسم الغربي وهي من لهجات اللغة الكنعانية "

ونعتقد انه أدرجها ضمن هذا القسم لاعتبارات جغرافية حيث تقع مدينة أوغاريت التي تُسمى حالياً برأس الشمرا على بُعد (١٣) كم شمال مدينة اللاذقية السورية قرب البحر الأبيض المتوسط وقد استوطنها الإنسان في الألف الرابع قبل الميلاد وازدهرت تجارياً في الألف الثاني قبل الميلاد وكان سقوطها على أثر هجوم أقوامٍ جاءت من بحر ايجة وكان ذلك نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وقد اكتُشفت مخلفات هذه المدينة عام ١٩٢٩م من قِبل بعثة تنقيب فرنسية .

كُتبت اللغة الأوغاريتية على رُقمٍ طينية بخطٍ مسماري ولايمكن تحديد تاريخ النصوص الأوغاريتية لأنها ليست مُؤرخة إلا أن أحد تلك الرقم مكتوب في عصر الملك الأوغاريتي (نقمه) الذي عاصر المـــــــــلك الحثي (شقلل يم) أي حوالي (١٣٨٠-١٣٤٦ق. م) والملاحظ في تلك الرُقم استخدامها للعلامات المسمارية البابلية الأفقية والعمودية حيث تُمثل كل علامة مسمارية أو عدة علامات أحد حروف الهجاء وتحتوي الهجائية الأوغاريتة على ثلاثين علامة مما يُدلل على إنها كتابة هجائية وليست مقطعية ويعود الفضل في حل علامات الخط الأوغاريتي إلى كل من العالمين (Ch.VIROLLEAUE&E.DHORME) من جامعة باريس .(٦)

العلاقةُ بين العربية والأوغاريتية

إن من أشهر الذين درسوا العلاقة بين العربية والأوغاريتة بتعمق هو الدكتور عز الدين آل ياسين حيث ألف كتاباً باللغة الإنكليزية أسماهُ (علاقة الألفاظ بين الأوغاريتية والعربية) حيث درس بضعُ مئاتٍ من الألفاظ الأوغاريتية مُقارناً إياها بألفاظٍ عربية فوجد العديد من الكلمات المُشتركة بينهما ومنها على سبيل المثال لا الحصر(٧) " أب، أخ، يد، نهر، بتول، كرم، حصان، لحم، بحر، توت، جراد، قبر، دم، دمع، عبد، سلام صحراء، أرض،.....الخ)وللدلالةِ على عُمق الترابط بين العربية والأوغاريتية نشر الدكتور أنيس فريحه في كتاب أسماهُ (ملاحم وأساطير من أوغاريت) أسطورة الملك (كارت) الأوغاريتي التي يُخاطب فيها حبيبتهُ (حورية) ليُثبت احتواء الأوغاريتية على العديد من الكلمات العربية الفصيحة .(٨)

بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة الأوغاريتية احتوت على ألفاظٍ ومفرداتٍ عديدة لاتزالُ على ألسنة الأهالي في مدينة اللاذقية والمناطق المحيطة بها ومن هذهِ المفردات على سبيل المثال (نقمة) التي يُطلقها أهل اللاذقية على الرجل المتسلط وهي في الأصل لفظة أوغاريتية كانت أسماً لأحد الملوك الأوغاريتيين الذي كان مُتسلطاً يتصف بالشدة ، ومن بقايا اللغة الأوغاريتية أيضاً لاحِقةٌ يزيدها أهالي اللاذقية على الأفعال يُرادُ منها تأكيد الحدث إذ يقولون في الفعل العربي (ضربناهُ) مثلاً (ضربناهني) أو (ضربناهنه) . (٩)

يقول د.خالد إسماعيل علي في كتابهِ(١٠) " إننا نميل إلى الرأي القائِل أن الأوغاريتية كانت جيباً لغوياً في مجموعة لغوية تختلف عنها وهي من حيثُ خصائصها اللغوية أقربُ إلى المجموعة العربية لاسيما الجنوبية فأصواتها مُماثلة للعربية سوى حرفٍ واحدٍ هو السين الشينية (السين في العبرية) الباقي في العربية الجنوبية ، والعاملُ الثاني هو الإعراب الذي تشتركُ فيهِ العربيةُ والأوغاريتية بكل خصائصهِ بما في ذلك الممنوع من الصرف "

ويُضيفُ قائلا : " ولا يغربُ عن البال أن العديد من الألفاظ الأوغاريتية لاترِدُ إلا في العربية لذا فإنني أميلُ إلى ضم الأوغاريتية إلى المجموعة العربية "

العلاقةُ بين الأوغاريتية والأكدية

على الرغم من أن أوغاريت أوجدت لنفسها لغة خاصة بها إلا إنها لم تبتعد عن العرف العام للمنطقة الذي استعمل الأكدية كلغة دولية في ذلك الوقت فكانت المرسلات والوثائق والمعاهدات مدونة باللغة الأكدية وهكذا التقت على أرض أوغاريت لغتان ساميتان الأولى محلية والثانية دولية ونشا بين هاتين اللغتين وشائج تأثير وتأثُر برزت وعدة نواح أهمها:

١- تأثرت الأوغاريتية بالكتابة الأكدية فاستعارت النمط الكتَابي المسماري منها إلا إنها تميزت عن الكتابة الأكدية بمظهرين : (١١)

أ- ضمت جميع اصوات النطق لدى الساميين فأوجدت رموزاً كتابية لثلاثين رمزا في حين ضمت الأكدية ثمانية عشر حرفاً .

ب- استعاضت عن المقطع الصوتي في الأكدية بالحروف (الوحدة الصوتية) .

٢- تأثرت الأوغاريتية بالأكدية فدخلت إليها بعض الكلمات نحو الضمير ank من anaku الأكدي ، bayt من bet الأكدية بالإضافة إلى العديد من الكلمات .

٣- قدمت الدراسات الكثير من التماثل الدلالي والمعجمي بين اللغتين الأوغاريتية والأكدية فدلالة الكلمة في تغير مستمر ناجمٌ عن أسباب عديدة ويأخذ أشكالاً مختلفة كالتخصيص(الانتقال بالمعنى من معنى عام واسع إلى معنى أخص وأضيق) نحو :

الجذر lhm الذي يدل في الأوغاريتية على فعل الأكل أما الاسم منه فيدل على الخبز وفي الأكدية يدل الجذر lemu على نفس المعنيين .

أو التعميم (الانتقال بالكلمة من معنى أضيق إلى معنى أعم وأوسع) ،نحو:

الكلمة الأوغاريتية sm التي تعني الشجر وكذلك الكلمة الأكدية ismu التي تعطي نفس المعنى امادلالتهما فكانت واسعة تميزت بالتعميم في اللغات السامية حيث تعني الأصل .

٤- اتفقت كلٌ من الأوغاريتية والأكدية على جذور واحدة في كلمات عدة نحو nsm– بمعنى " ناس " في الأوغاريتية و nisu بنفس المعنى في الأكدية وكلاهما من جذر واحد هو nws بينما اختلف جذر هذه الكلمة في بقية اللغات السامية .

٥- إن كلا اللغتين لم تعرفا أداة التعريف حيث يتم التعرف على (المُعرف) من سياق الجملة .

٦- إن كلا اللغتين عرفتا الحركات فالأوغاريتية عرفت الضمة والفتحة والكسرة في حين اقتصرت الأكدية على حالتي الضمة والكسر. (١٢)

العلاقةُ بين الأوغاريتية والعبرية

حاول بعض العلماء ومنهم(فيرلو) و(ديسو) استخدام اللغة العبرية لفهم النصوص الأوغاريتية على اعتبار أن بعض المظاهر الأوغاريتية عبريةٌ صرفاً وهذا خطأٌ فاحش لان العبرية أحدثُ عهداً من الأوغاريتية حيث عُرفت العبرية في حوالي القرن الثاني عشر قبل

الميلاد ولعل هذا الخطأ ناجمٌ عن وجود ثمة شبه بين بعض العبارات الأوغاريتية والعبرية وخاصةً في مفرداتٍ وجمل كانت معروفة في التوراة ووجدت حرفياً في الأساطير الأوغاريتية وهذا ما يؤكد وقوعهم في الخطأ لان أساطير أوغاريت تسبق بما يقارب الألف عام نصوص التوراة ونحن نعتقد أن هذا التشابه ناجمٌ عن سرقة العبريين وسطوهم على أساطير أوغاريت وغيرها من أساطير سومر وبابل وضمنوها توراتهم.(١٣)

يقول د.أنيس فريحه في كتابه:

" وللدكتور جورج حداد دراسة قيّمة بهذا الصدد نشرها بالعربية في مجلة الحوليات الأثرية السورية (ج١، ج٢) عام١٩٥٢تحت عنوان" الأدب الكنعاني في رأس شمرا والتوراة العبرانية " أوضح فيها أن الأدب الكنعاني كما نجدهُ في لوحات أوغاريت قد أثر ليس على الأمثال والحكم الموجودة في سفر المثال وسفري المزامير ونشيد الإنشاد فحسب وإنما أثر على الكتابات العبرانية الواردة في سفر التكوين وأخبار الأنبياء " .

العلاقة بين الأوغاريتية واليونانية

حاول بعض الغربيين أن ينسبوا اللغة الأوغاريتية لجذور أوربية وخاصةً اليونانية لأنها تُكتب من اليسار إلى اليمين وأن تسمية الحروف وترتيبها فيها تُشابه إلى حد كبير السياق الذي تستخدمهُ اليونانية ولقد وقع هؤلاء في خطأ فادح لأن طريقة الكتابة الأوغاريتية مأخوذةٌ من الأكدية وبالتالي ليس هناك من وشائج تربط الأوغاريتيين وهم شعبٌ سامي باليونانيين وهم شعب آري إلا إن تعصب البعض من الأوربيين في نسبة أي ثقافةٍ أوربية إلى أصلٍ سامٍ جعلهم يتبنون هذا الرأي . (١٤)

وختاما نقول:

على الرغم من أن تحديد الصفات الخاصة المميزة للغة الأوغاريتية أمرٌ يتطلب التوصل إلى وضعِ وصفٍ مفصل ومنهجي للغة الأوغاريتية إلا أن اكتشاف الأبجدية الأوغاريتية كان لهُ عظيم الفضل في جذب اهتمام علماء اللغات الأمر الذي أدى إلى اهتمام المحافل الدولية العلمية والتاريخية واللغوية في العديد من دول العالم فكُتِبت أبحاثٌ عديدة عن قواعدها النحوية والصرفية ووضع لها معاجم حديثة وفهارس ودراسات عديدة عن علاقاتها مع مثيلاتها من اللغات كالأكدية والعربية والعبرية وغيرها .

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الاشتراك بين اللغة الأوغاريتية وبين مثيلاتها والارتباط الوثيق يؤكد القرابة بينها ويُعيدها إلى أرومة واحدة ناجمة عن وحدة الأرض التي نشأت فيها هذهِ اللغات.

هوامش البحث

١.علي –د.خالد إسماعيل –فقه لغات العاربة المقارن –عمان– ٢٠٠٠–ص١٤–١٥.

٢.كمال–د. ربحي– دروس في اللغة العبرية– بيروت–١٩٨٢–ص٧–٨.

٣.المصدر السابق–ص ١٩–٢٠.

٤.علي– د.خالد إسماعيل– مقدمة في قواعد اللغة الأوغاريتية– عمان –١٩٩٨–ص١–٢.

(٥)C.H-Gordon- UgariticTextbook- Roma- ١٩٦٥-P٣٣.

٦.علي- د. خالد إسماعيل_ مقدمة في قواعد اللغة الأوغاريتية- مصدر سابق -ص٣-٤.

٧.جعفر - إحسان- اللغة الأوغاريتية أقدم مصدر للعربية - دمشق-١٩٧٩-ص٥٧.

٨.المصدر السابق -ص٥٩.

٩.الخازن- نسيب وهيبة -أوغاريت أجيال ، أديان ، ملاحم- بيروت-١٩٦٩-ص١١٥.

١٠.علي- د.خالد إسماعيل - مقدمة في قواعد اللغة الأوغاريتية -مصدر سابق-ص٨-٩.

١١.بيطار- د.الياس- قواعد اللغة الأوغاريتية-دمشق-١٩٩٢-ص٤٩.

١٢. فريحة- أنيس- ملاحم وأساطير من أوغاريت- بيروت- ١٩٦٦ص٥٧.

١٣. المصدر السابق ص ٧١.

١٤.علي - خالد-إسماعيل - فقه لغات العاربة المقارن- مصدر سابق- ص- ٢٥.

المصادر

١- أحسان جعفر - اللغة الأوغاريتية أقدم مصدر للعربية- دمشق- ١٩٧٩.

٢- أنيس فريحه - ملاحم وأساطير من أوغاريت -بيروت-١٩٦٦.

٣- د. الياس البيطار - قواعد اللغة الأوغاريتية- دمشق- ١٩٩٢.

٤- د. خالد إسماعيل علي - فقه لغات العاربة المقارن- عمان-١٩٩٨.

٥- د.خالد إسماعيل علي- مقدمة في قواعد اللغة الأوغاريتية- عمان-٢٠٠٠.

٦- د. ربحي كمال -دروس في اللغة العبرية- بيروت-١٩٨٢.

٧- نسيب وهيبة الخازن- أوغاريت .. أجيال ،أديان ،ملاحم -بيروت-١٩٦٩.

٨-C.H-Gordon-Ugaritic Text Book-Rona- ١٩٥٣.